تبيّن الآية الكريمة أنّ ربّ العزّة قد أحلّ لنا نحن المسلمين ، سواءٌ كنّا حلالاً أو محرمين ، صيد البحر المِلْح والعَذْب، بمعنى ما أخذناه منه حيّاً ، وكذلك أحلّ لنا طعام البحر ، وهو ما لفظه ميتاً . لقد جعل الله سبحانه وتعالى ذلك لنا طعاماً نستمتع بأكله وننتفع به ، سواءٌ كنّا حاضرى البحر ومجاوريه أو كنّا بعيدين عنه ومسافرين .

كما تبيّن الآية الكريمة أنّ ربّ العزّة قد حرّم علينا صيد البرّ مادمنا محرمين . وتأمرنا الآية الكريمة في تذييلها بأن نتّقي الله سبحانه وتعالى الّذي إليه نحشر جميعاً من أجل الحساب ، الثّواب أو العقاب .

روى أبو هريرة أنّ رجلاً سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يارسول الله إنّا نركب البحر نحمل معنا القليل من الماء فإن توضّأنا به عطشنا ، أفنتوضّأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هو الطَّهور ماؤه الحلّ ميتته . وقد روى هذا الحديث الإمامان الشّافعيّ وأحمد بن حنبل وأهل السّنن الأربع وصحّحه البخاريّ والترمذي وابن خزيمة وابن حبّان وغيرهم . وقد روي عن جماعةٍ من الصّحابة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بنحوه[1] وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أحلّت لنا ميتتان ودمان . فأمّا الميتتان فالحوت والجراد . وأمّا الدّمان فالكبِد والطِّحال[2] .

وروى الإمام أحمد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : صيد البرّ لكم حلال[3] ما لم تصيدوه أو يصد لكم . وكذا رواه أبو داود والتّرمذي والنّسائيّ[4] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٠٢/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٠٣/٢ .

(٣) وأنتم حرم .

(٤) تفسير ابن كثير ١٠٤/٢ .

حرمة المكان والزمان وأحكام في الحلال والحرام
وعلى المؤمنين أن يحفظوا أنفسهم
الآيات : ٩٧ – ١٠٥

جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾

جعل الله الكعبة البيت الحرام : عن مجاهد قال : إنّما سمّيت الكعبة لأنّها مربّعة[1] وأمّا الكعبة فالحرم كلّه . وسمّاها الله تعالى حراماً لتحريمه إيّاها أن يصاد صيدها أو يُخْتَلَى خلاها[2] أو يعضد شجرها[3] .

قياماً للنّاس : يقوم به أمر دينهم بالحجّ إليه ، ودنياهم بأمن من دخله وعدم التّعرّض له وجبي ثمرات كلّ شيءٍ إليه[4] .

والشّهر الحرام : بمعنى الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحّجة والمحّرم ورجب[5] .

والهدي : ما أهدى إلى الحرم من النّعم ولم يقّلد .

والقلائد : جمع قلادة وهي ما كان يقلّد به من شجر الحرم ليأمن وتطلق القلائد على ما يقلّد من النّعم .

الآية الكريمة ذات علاقة بحرمتي المكان والزّمان اللّتين تحدّثت عنهما الآيات الكريمات السّابقات من زاوية الصّيد . والآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس ، تقوم به مصالحهم وتتحقّق به منافعهم كما جعل مصالحهم تقوم بالأشهر الأربعة الحرم وبالهدي وبالقلائد . وإنّ هذه الأمور الأربعة قوام حرمتي المكان والزّمان .

لقد كان العرب قبل ايلاسلام أكثر خلق الله تعالى تمزُّقاً وشَرْذمة . وإنّ رحمة الله

---

(١) تفسير الطّبريّ ٤٩/٧ .

(٢) الخَلَى مقصور الرَّبطْ من الحشيش الواحدة خَلاةٌ وخَلَيْتُ الخَلَى قطعته وبابه رَمَى واختليته أيضاً .

(٣) تفسير الطّبريّ ٤٩/٧ .

(٤) الجلالين .

(٥) الجلالين .

تعالى الّتي وسعت كلّ شيءٍ شملتهم فشاء الله تعالى أن يجعل لهمْ أموراً تقوم بها مصالحهم بعد أن غاب القيّم الواحد عليهم الّذي يرعى مصالحهم ويجمع كلمتهم ويوحّد صفوفهم . وهذه الأمور عمادها حرمة المكان والزّمان . أمّا المكان فهو البلد الحرام الّذي مَنْ دخله كان آمناً وأمّا الزّمان فهو الأشهر الأربعة الحرم بحيث إنّ العربيّ الّذي يرى قاتل أحبّ النّاس إليه أمامه في البلد الحرام أو في الشّهر الحرام لايعرض له بأدنى أذى . وما كان شيءٌ من ذلك ليتمّ لولا فضل الله تعالى . وممّا له علاقة ــ بَعْدَ الأمن من الخوف ــ بالإطعام من الجوع الهدي والقلائد ، وهي النّعم الّتي تهدى إلى البيت الحرام وتُشْعَر يقال : أَشْعَرَ الهَدْي إذا طَعَنَ في سنامه الأيمن حتّى يسيل منه دمٌ ليُعْلَم أنّه هدي ، وقد يقلّد . وتقليد الهدي أن يُعَلَّق في عنقه شيءٌ ليُعْلَم أنّه هَدْي . وإنّما يُشْعَرُ الهدي ويقلّد كيلا يتعرّض له إنسان حتّى يصل إلى البيت العتيق مَحِلّه . والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حينما حجّ وبات بذى الحليفة ثمّ أصبح أشعر هديه وقلّده ، وكان هديه إبلاً كثيرة تنيف على السّتّين من أحسن الأشكال والألوان[1] بل إنّ الرّجل إذا أراد البيت تقلّد قلادةً من شعر فأحمته ومنعته من النّاس . وكان إذا نفر تقلّد قلادةً من الإذخر أو من لحاء السَّمُر[2] فمنعته من النّاس حتّى يأتي أهله[3] عن ابن عبّاس : والقلائد ، كان ناسٌ يتقلّدون لحاء الشّجر في الجاهليّة إذا أرادوا الحجّ فيعرفون بذلك[4] .

إنّ هذه الأمور الّتي تقوم بها مصالح النّاس قد قدّرها الّذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه . وتقرّر الآية الكريمة أنّ جعل ربّ العزّة هذه الأمور قياماً للنّاس ليعلم النّاس أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في السّماوات وما في الأرض وأنّه جلّ وعلا بكلّ شيءٍ عليم فلا يخفى عليه تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾

بعد أن بيّن السّياق مجموعةً من الأحكام تخاطب هذه الآية الكريمة كلّ النّاس بأنّ

---

(١) انظر هنا مثلاً تفسير ابن كثير في تفسير الهدي والقلائد من الآية الكريمة الثانية من سورة المائدة .

(٢) السَّمُر بوزن رجل جمع السّمُرة بضمّ الميم من شجر الطّلح .

(٣) تفسير الطّبريّ ٧/٥٠ .

(٤) تفسير الطّبريّ ٧/٥٠ .

عليهم أن يعلموا أنّ الله شديد العقاب لمن خالف أوامره ولم يلتزم أحكامه وأنّ الله غفورٌ رحيم لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يتوب الله تعالى عليهم ويغفر لهم ذنوبهم ويبدّل سيّئاتهم حسنات فضلاً منه تعالى ونعمة . وبذلك تجمع الآية الكريمة بين الإنذار والتّبشير .

مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

إنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قد بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة وكان لقومه النّاصح الأمين . والآية الكريمة تقرّر أنّ عمل الرّسول عليه الصّلاة والسّلام يقف عند البلاغ ولايتعدّاه ، ووراء ذلك النّاس مسئولون بين يدي الله تعالى عن موقفهم من ذلك البلاغ ، إن أسلموا وأطاعوا دخلوا الجنّة وإن كفروا وعصوا دخلوا النّار . وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما نبدي من الأقوال والأفعال وما نكتم من الأقوال والأفعال وما تخفيه ضمائرنا وتوسوس به نفوسنا . فعلى كلّ إنسانٍ أن يعي هذه الحقيقة وأن يعلم أنّه مسئولٌ عن كلّ ما يُخْفى ويُعْلن يُبْدى ويكتم ومحاسبٌ عليه يوم القيامة المجموع له النّاس المشهود ، فليأخذ الإنسان حذره وليستعد للامتحان في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

بعث الله تعالى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم للإنسانيّة جمعاء كي يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر ويحلّ لها الطّيّبات ويحرّم عليها الخبائث . والآيات الكريمات السّابقات بينت مجموعةً من الطّيّبات المأمور بها والخبائث المنهيّ عنها ومن تلك الخبائث الخمر والميسر والأنصاب والأزلام .

والآية الكريمة الّتي نحن بصددها تضع قاعدةً عامّةً تقارن بين الخبيث الحرام وإن كان كثيراً وبين الطّيب الحلال وإن كان قليلاً وتقرّر أنّه لايمكن بحالٍ من الأحوال أن يتساوى الخبيث والطّيّب ، الحرام والحلال ، الضّارّ والنّافع . ولو أعجبك أيّها الإنسان كثرة الخبيث والحرام وإن كان الطّيب قليلاً والحلال نزراً يسيرا بالقياس إلى الخبيث والحرام . وقد

جاء في الحديث النّبويّ الشّريف : « ما قلّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى »[1] .

وبعد طرد الخبيث من مجال المقارنة بالطّيّب تأمر الآية الكريمة بصريح اللّفظ أصحاب العقول الرّزينة والبصائر النّيرّة أن يتّقوا الله تعالى بالتّمسّك بالطّيّب الحلال وحده لعلّهم يفلحون في الأولى والآخرة ويفوزون في الجنّة بالنّعيم المقيم .

ويلاحظ وصف الآية الكريمة المستفيدين من منهجها التّربويّ المتّبعين أحسن ما أنزل إليهم من ربّهم بكونهم أولى الألباب المنتفعين بعقولهم وذلك في مقابل الفريق الآخر الّذي عطّل عقله ، وأعجبه الزّيف والبهرج ، وملأ عليه جوانب نفسه الحرام لا الحلال ، الخبيث لا الطّيب ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ۖ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ۖ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

سبب النّزول

روى البخاريّ ومسلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سألوه حتّى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يومٍ فصعد المنبر فقال : لا تسألوني اليوم عن شيءٍ إلاّ بيّنته لكم . فأشفق أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يكون بين يدى أمرٍ قد حضر ، فجعلتُ (أنس بن مالك) لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلاّ وجدت كلاًّ[2] لافّاً رأسه في ثوبه يبكى . فأنشأ رجلٌ كان يلاحَى فيدعى إلى غير أبيه فقال : يا نبيّ الله : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة . قال : ثمّ قام عمر أو قال : فأنشأ عمر فقال : رضينا بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمّدٍ رسولاً عائذاً بالله . أو قال : أعوذ بالله من شرّ الفتن . قال : وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لم أر في الخير والشّرّ كاليوم قطّ ، صوّرت لي الجنّة والنّار حتّى رأيتهما دون الحائط[3] وقال عمر : إنّا يارسول الله حديثو عهدٍ بجاهليّةٍ وشرك والله أعلم من آباؤنا . قال (أبو هريرة) فسكن غضبه ونزلت هذه الآية[4] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٠٤ .

(٢) الكلّ بفتح الكاف من لا ولد له ولا والد والعيّل والثّقيل لاخير فيه . انظر القاموس .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ /١٠٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢/١٠٥ .

وروى الإمام أحمد والترمذيّ وابن ماجة لمّا نزلت هذه الآية : ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ، قالوا : يارسول الله ، أفي كلّ عام ؟ فسكت . قال : ثمّ قالوا : أفي كلّ عام ؟ فقال : لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم . فأنزل الله الآية[1] وفي الصّحيح عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : ذروني ما تركتكم فإنّما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . وفي الحديث الصّحيح أيضاً : إنّ الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمةً بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها[2] .

تنهي الآية الكريمة الّذين آمنوا سؤال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن أشياء أن تُبْد لهم وتظهر لهم الأجوبة عليها تسؤهم لما في تلك الأجوبة من المشقّة عليهم والله سبحانه وتعالى إنّما يريد بعباده اليُسْر ، فَلِمَ يريد العباد العُسْرَ لأنفسهم بكثرة الأسئلة والإلحاف فيها ؟ وتبيّن الآية الكريمة أنّهم إن يسألوا عن هذه الأشياء حين ينزّل القرآن الكريم بقصد معرفتهم من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما نزل من القرآن على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالفعل فإنّ هذه الأشياء سيبديها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لهم . وفي القول : ﴿عفا الله عنها﴾ تقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى عفا عن مسألتهم السّابقة فعليهم ألاّ يعودوا إلى الأسئلة والإلحاف فيها . كما تقرّر الآية الكريمة في جزئيّتها الأخيرة : ﴿والله غفورٌ حليم﴾ أنّ الله سبحانه وتعالى غفورٌ للذّنوب حليم لايأخذ عباده بالعقوبة العاجلة .

وقد امتثل الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم لأمر الله تعالى ويتجّلى ذلك في قلّة عدد الأسئلة التي سألوها مباشرةً النبيّ صلى الله عليه وسلم والتي أشير إليها في القرآن الكريم بالقول : ﴿ يسألونك ﴾ .

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾

الآية الكريمة مرتبطةٌ بالآية الكريمة السّابقة فهي تبيّن للّذين آمنوا أنّ بعض أتباع الأنبياء السّابقين قد سألوا أنبياءهم عن أشياء من هذا القبيل كأتباع عيسى عليه السّلام

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٠٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٠٦ .

بشأن المائدة ، ثمّ أصبح القوم السّائلون كافرين بهذه الأشياء لأنّهم تبيّنوا أنّ فيها المشقّة عليهم والعنت بهم فضعفوا عن الالتزام بتعاليمها والتّمسك بها ولهذا كانوا بها كافرين . عن ابن عبّاسٍ في الآية أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أذّن في النّاس فقال : يا قوم كُتِب عليكم الحج . فقام رجلٌ من بني أسد فقال : يارسول الله أفي كلّ عام ؟ فأغضب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غضباً شديداً فقال : والّذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم وإذاً لكفرتم فاتركوني ما تركتكم وإذا أمرتكم بشيءٍ فافعلوا وإذا نهيتكم عن شيءٍ فانتهوا عنه . فأنزل الله هذه الآية نهاهم أن يسألوا عن مثل الّذي سألت عنه النّصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين[1] .

مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

البحيرة : الفعيلة من قول القائل : بحرت أذن هذه النّاقة إذا شقّها أبحرها بحراً . والنّاقة مبحورة ثمّ تعرف المفعولة إلى فعيلة فيقال : هي بحيرة[2] والأصل الّذي تدور حوله مادّة «بحر» الاتّساع والانبساط[3] وكانت العرب تفعل ذلك بها إذا نُتِجَت عشرة أبطُن ، فلا تُرْكب ولا ينتفع بظهرها ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك[4] وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما هي النّاقة إذا نُتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرّجال دون النّساء وإن كان أنثى جدعوا آذانها فقالوا هذه بحيرة[5] .

وأمّا الوصيلة فإنّ الأنثى من نعمهم في الجاهليّة كانت إذا أتأمت بطناً بذكرٍ وأنثى قيل قد وصلت الأنثى أخاها بدفعها عنه الذّبح فسمّوها وصيلة[6] .

وأمّا السّائبة فإنّها المسيّبة المخلاّة ، وأخرجت المسيّبة بلفظ السّائبة كما قيل عيشةٌ

---

(١) تفسير ابن كثير ١٠٦/٢ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٥٦/٧ .
(٣) معجم مقاييس اللّغة لابن فارس « بحر » ٢٠٢/١ .
(٤) معجم مقاييس اللّغة « بحر » ٢٠٣/١ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٠٧/٢ .
(٦) تفسير الطّبريّ ٥٧/٧ .

راضية بمعنى مرضيّة [1] قال محمّد بن إسحاق : السّائبة هي النّاقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهنّ ذكرٌ سيّبت فلم تُركب ولم يجزّ وبرها ولم يحلب لبنها إلا الضّيف [2] وأمّا الحامي فعن ابن عبّاس هو الفحل من الإبل إذا وُلِد لولده قالوا حَمَى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجزّون له وبراً ولا يمنعونه من حِمى رَعْي ومن حوضٍ يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه [3] .

روى البخاريّ عن سعيد بن المسيّب قال : البحيرة الّتي يمنع درّها للطّواغيت فلا يحلبها أحد من النّاس . والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لايحمل عليها شيء . قال : وقال أبو هريرة ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : رأيت عمرو بن عامر الخزاعيّ يجرّ قُصْبه [4] في النّار كان أوّل من سيّب السّوائب . والوصيلة النّاقة البكر تبكر في أوّل نتاج الإبل ثمّ تثنّى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر . والحام فحل الإبل يضرب الضّراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودّعوه للطّواغيت وأعفوه عن الحمل فلم يحمل عليه شيء وسمّوه الحامي . وكذا رواه مسلم والنّسائيّ [5] .

وثمّة اختلافٌ بين العلماء في تعريف هذه الأنواع من الحيوان .

تبيّن الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى ما جعل في الأنعام من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكنّ الّذين كفروا من أهل مكّة وسواهم هم الّذين افتروا على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون لذا هم «بحروا البحائر وسيّبوا السّوائب ووصلوا الوصائل وحموا الحوامي » [6] وزعموا أنّهم لم يفعلوا ذلك بالأنعام إلاّ تقرّباً إلى الله تعالى ، وذلك افتراءٌ على الله تعالى وكذب وأكثر أولئك القوم لايعقلون وإلاّ لما افتروا على الله كذباً ولما تورّطوا في تلك السّخافات :

---

(١) تفسير الطّبريّ ٥٧/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٠٨/٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ١٠٨/٢ .

(٤) القُصب بضمّ القاف المِعى والجمع أقصاب .

(٥) تفسير ابن كثير ١٠٧/٢ .

(٦) تفسير الطّبريّ ٦٠/٧ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

الآية الكريمة مرتبطةٌ بالآية الكريمة السّابقة عليها . إنّ هؤلاء الّذين حرّموا من الأنعام البحيرة والسّائبة والوصيلة والحامي والّذين قلّدوا في ذلك التّحريم آباءهم واشتركوا معهم في الكذب على الله تعالى بأنّه جلّ وعلا هو الّذي حرّم ذلك إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله تعالى من قرآنٍ مجيدٍ نحتكم إليه وإلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم الموحى إليه كي تتبيّنوا أنّ هذا التّحريم ما أنزل الله تعالى به من سلطان قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا وكافينا ما ألفيناهم عليه من الدّين والشّريعة .

وتبادر الآية الكريمة إلى الإنكار عليهم في صورة أسلوب الاستفهام فتقول أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً من الحقّ ولا يهتدون سبيلا ؟ إنّ المطلوب من عباد الله تعالى أن يستعملوا عقولهم الّتي ميّزهم الله تعالى بها عن سائر المخلوقات في هذه الكرة الأرضيّة استعمالاً صحيحاً لا أن يلغوا هذه النّعمة ويعطّلوها عن القيام بوظيفتها الّتي خلقت من أجلها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا
اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

في الآية الكريمة تعميقٌ لمسئوليّة كلّ إنسان عمّا يأتي ويذر ، وهي المسئوليّة الّتي أومأت إليها الآية الكريمة السّابقة في نعيها على الّذين ساروا في طريق الضّلال الّذي سار فيه آباؤهم وعطّلوا عقولهم .

والآية الكريمة تخاطب الّذين آمنوا في أسلوب الإغراء : ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ ونصب

قوله :﴿ أنفسكم ﴾بالإغراء . والعرب تغرّي من الصّفات بعليك وعندك ودونك وإليك[1] والمعنى يا أيّها الّذين آمنوا احفظوا أنفسكم وقوموا بصلاحها واجتهدوا في تزكيتها ، لايضرّكم في قليل أو كثيرٍ من ضلّ عن الصّراط المستقيم إذا اهتديتم بأن قمتم بما يجب عليكم من أمرٍ بالمعروف ونهي عن المنكر واستقمتم على الصّراط المستقيم .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ مرجع النّاس جميعاً إلى الله تعالى يوم القيامة يوم فصل الحساب فينبّئهم الله سبحانه وتعالى بما كانوا يعملون . ما كان من خيرٍ أثيبوا عليه ومن ذلك تحليل ما أحلّ الله تعالى وتحريم ما حرّم ، وما كان من شرٍّ عوقبوا عليه ومن ذلك تحريم ما أحلّ الله تعالى وتحليل ما حرّم ، ومن ذلك تعطيلهم نعمة العقل وقولهم إنّا وجدنا آباءنا على دينٍ وإنّا على آثارهم مهتدون ومقتدّون فهم يشركون مع الله تعالى غيره ويأتون من الأمور ما لم يأذن به الله تعالى .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦١/٧ .

تعاليم حين الوصيّة

الآيات: ١٠٦ – ١٠٨

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾

سبب النزول

عن ابن عبّاس قال : خرج رجلٌ من بني سهم مع تميم الدّاريّ وعديّ بن بداء فمات السّهميّ بأرضٍ ليس بها مسلم فلمّا قدما بتركته فقدوا جاماً[1] من فضّة مخوَّصاً[2] بالذّهب فأحلفهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووجدوا الجام بمكّة فقيل اشتريناه من تميم وعديّ . فقام رجلان من أولياء السّهميّ فحلفا بالله لشهادتنا أحقّ من شهادتهما وأنّ الجام لصاحبهم وفيهم نزلت : يا أيّها الّذين آمنوا شهادة بينكم . الآية . وهذا الحديث رواه أبو داود وقال التّرمذي : هذا حديث حسنٌ غريب[3] .

شهادة بينكم : ليشهد بينكم[4] .

إذا حضر أحدكم الموت : أي أسبابه[5]

حين الوصيّة : وقت الوصيّة[6] .

اثنان ذوا عدلٍ منكم : ذوا رشدٍ وعقلٍ وحِجاً من المسلمين[7] .

---

(١) الجام الكأس .

(٢) مخوّص : مزيّن . يقال : خوّص التّاج زيّنه بصفائح الذّهب .

(٣) تفسير ابن كثير ١١٣/٢ وانظر ص ١١٢ حديثاً آخر أكثر تفصيلاً وتوضيحاً وص ١١٣ وهذه الحادثة قبل أن يسلم تميم الدّاريّ وعديّ بن بداء وكانا نصرانيّين .

(٤) تفسير الطّبريّ ٧ /٦٥ .

(٥) الجلالين .

(٦) تفسير الطّبريّ ٧ /٦٥ .

(٧) تفسير الطّبريّ ٦٥/٧ .

أو آخـران من غيركم : أو آخران من غير المسلمين[١] .

إن أنتم ضربتم في الأرض : إن أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين في الأرض[٢]

فأصابتكم مصيبة الموت : في الكلام محذوف اجتزئ بدلالة ما ظهر منه على ما حذف وهو فأصابتكم مصيبة الموت وقد أسندتم وصيتكم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال[٣] .

تحبسونهما من بعد الصّلاة : تستوقفونهما بعد الصّلاة[٤] .

فيقسمان بالله إن ارتبتم : الارتياب هو الاتّهام . يقول : فيحلفان بالله إن اتّهمتموهما بخيانة فيما أئتمنا عليه من تغيير وصيّة أوصى إليهما بها أو تبديلها[٥] .

لانشتري به ثمناً : يحلفان بالله لانشتري بأيماننا بالله ثمناً . يقول لانحلف كاذبين على عوضٍ نأخذه عليه وعلى مالٍ نذهب به أو لحقٍّ نجحده لهؤلاء القوم الّذين أوصى إلينا واليهم وصيّتهم . والهاء في قوله : به من ذكر الله . والمعْنِيّ به الحلف والقسم[٦] .

ولو كان ذا قربى : ولو كان الّذي نقسم له ذا قرابةٍ منّا[٧] .

ولا نكتم شهادة الله : لانكتم شهادة الله عندنا[٨] .

بين يدي تفسير الآية الكريمة نقتبس ما يلي . جاء في الجلالين : « الحكم ثابتٌ في الوصيّين منسوخٌ في الشّاهدين . وكذا شهادة غير أهل الملّة منسوخة . واعتبار صلاة العصر للتّغليظ . وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة الّتي نزلت لها وهي ما رواه البخاريّ أنّ رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الدّاريّ وعديّ بن بداء أي وهما نصرانيّان فمات السّهميّ بأرضٍ ليس فيها مسلم . فلمّا قدما بتركته فقدوا جاماً من فضّة مخوّصاً بالذّهب فرفعا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فنزلت فأحلفهما ثمّ وجد الجام بمكّة فقالوا ابتعناه من تميم وعديّ فنزلت الآية الثّانية . فقام رجلان من أولياء السّهميّ فحلفا وفي رواية التّرمذيّ فقام عمرو بن العاص ورجلٌ آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦٧/٧ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٧٠/٧ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٧١/٧ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٧١/٧ .
(٥) تفسير الطّبريّ ٧١/٧ .
(٦) تفسير الطّبريّ ٧١/٧ .
(٧) تفسير الطّبريّ ٧١/٧ .
(٨) تفسير الطّبريّ ٧٣/٧ .

وفي رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلّغا ما ترك أهله فلّما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي » .

عن عبدالله بن عبّاس قال : قال زيد بن أسلم : في هذه الآية شهادة بينكم الآية كلّها قال : كان ذلك في رجلٍ توفّى وليس عنده أحدٌ من أهل الإسلام وذلك في أوّل الإسلام والأرض حربٌ والنّاس كفّار إلاّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه بالمدينة . وكان النّاس يتوارثون بالوصيّة . ثمّ نسخت الوصيّة وفرضت الفرائض وعمل المسلمون بها[1] .

تخاطب الآية الكريمة الّذين آمنوا بأنّه ليشهد بينهم إذا حضر أحَدَهم أسباب الموت وقت الوصيّة ، ليشهد بينهم اثنان ذوا عدلٍ وأمانةٍ وتقوى من المسلمين أو ليشهد شخصان آخران من غير المسلمين في حال عدم وجود أحد من المسلمين ، وذلك إن أنتم ضربتم في الأرض مسافرين فأصابتكم مصيبة الموت وأنتم في غير ديار المسلمين .

إنّكم في حال الارتياب واتّهام الورثة الشخّصين بالخيانة تستوقفون الشّخصين من بعد الصّلاة ، وحدّدها بعضهم بصلاة العصر ، فيقسمان بالله تعالى لانشتري بحلفنا ثمناً ولا نأخذ بقسمنا رشوة ولو كان الّذي نقسم له ذا قرابةٍ منّا ، ولا نكتم شهادة الله عندنا بل ننقل الوصيّة كاملةً ونوصل المال الّذي اؤتمّنا عليه كاملاً إلى الورثة . إنّا إن لم نفعل ذلك كنّا من الآثمين .

وابن كثيرٍ بعد أن أشار إلى حكم أبي موسى الأشعري وهو في الكوفة في حالةٍ مشابهة علّق على قول أبي موسى الأشعريّ على الحادثة : « هذا أمرٌ لم يكن بعد الّذي كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم » علّق ابن كثير بقوله[2] : « الظّاهر والله أعلم أنّه إنّما أراد بذلك قصّة تميم وعديّ بن بداء . قد ذكروا أنّ إسلام تميم بن أوس الدّاريّ رضي الله عنه كان سنة تسعٍ من الهجرة فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخّراً يحتاج مدّعى نسخه إلى دليلٍ فاصل في هذا المقام . والله أعلم » .

وبشأن الصّلاة في حقّ غير المسلم يجوز أن يراد بها صلاته في دينه فإنّها مظنّة نهيها له عن الكذب وأكل أموال النّاس بالباطل .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦٨/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٣/٢ .

فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾

فإن عُثِر : فإن اطّلع فيهما أو ظهر . وأصل العثر الوقوع على الشّيء والسّقوط عليه[١] .

استحقّا إثماً : استوجبا بأيمانهما الّتي حلفا بها إثماً وذلك أن يطّلع على أنّهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خنّا ولا بدّلنا ولا غيّرنا[٢] .

فآخران يومان مقامهما : يقوم حينئذٍ مقامهما من ورثة الميّت الأوليان الموصى إليهما[٣] .

لشهادتنا أحقّ من شهادتهما : لأيماننا أحقّ من أيمان المقسمين المستحقّين الإثم ، وأيمانهما الكاذبة[٤] .

وما اعتدينا : وما تجاوزنا الحقّ في أيماننا[٥] .

فإن ظهر لأولياء الميّت وورثته أنّ الشّاهدين الكافرين استحقّا إثماً واستوجبا بأيمانهما الكاذبة الّتي حلفا بها ذنباً بأن ثبتت خيانتهما وكذبهما يقوم حينئذٍ مقامهما من ورثة الميت الأقربان إلى الميّت من بين قرابته الّذين وقع عليهم هذا الإثم ومن بين ورثته الّذين حلّ بهم ظلم الشّاهدين الكافرين الآثمين ، فيقسم قريبا الميّت بالله تعالى لشهادتنا أحقّ من شهادتهما ، وأيماننا أحقّ من أيمانهما الكاذبة ، وماتجاوزنا الحقّ في أيماننا ، إنّا إذاً لمن الظّالمين المتجاوزين حدودنا المعتدين على حقوق الآخرين .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٧/٧٣ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٧/٧٣ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٧/٧٣ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٧/٧٩ .
(٥) تفسير الطّبريّ ٧/٨٠ .

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

ذلك الحكم المذكور أقرب أن يأتي الأوصياء بالشّهادة على وجهها وأقرب أن يخافوا أن تردّ الأيمان إلى الورثة بعد أيمان الأوصياء الّتي ردّت ، وأقرب أن يخشوا الفضيحة على رءوس الأشهاد . إنّ هذا الحكم المذكور بملابساته المبيّنة أدنى إلى أن يأتي الأوصياء بالأمر كلّه على وجهه ومن ذلك الشّهادة الّتي تأتي على وجهها ، والأيمان الصّادقة .

وتأمر الآية الكريمة النّاس أجمعين بأن يتّقوا الله تعالى وأن يسمعوا أحسن القول سماع تدبّر وقبول .

كما تقرّر الآية الكريمة في جزئيّتها الأخيرة أنّ الله سبحانه وتعالى لايهدي القوم الفاسقين الّذين يتعمّدون الخروج عن الصّراط المستقيم .

مِن نِعَمِ اللّه تعالى على عِيسى عليه السّلام
وأمرُه قومهُ أن يَعبُدُوا اللّه وَحدَه
الآيات : ١٠٩ — ١٢٠

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾

إذا كانت الآية الكريمة السّابقة قد أمرت بتقوى الله تعالى وسماع أوامره ونواهيه سماع قبول فإنّها تريد التّحذير من يوم القيامة اليوم المجموع له النّاس المشهود بقصد أن يستعدّوا له . وهذه الآية الكريمة التّالية يراد منها أن يحذر النّاس كذلك ذلك اليوم الّذي ينبّه إلى أحد متعلّقاته وهو جمع الله تعالى الرّسل مع أممهم وسؤال الرّسل بقصد توبيخ الكافرين من أتباعهم : ماذا أجابتكم أممكم ؟ إنّ الله سبحانه وتعالى لايخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء وقد أحاط جلّ وعلا بكلّ شيءٍ علماً ، ومن ذلك إجابة الأمم رسلهم . لذا كان الجواب على ألسنة الرّسل : ﴿ لا علم لنا إنّك أنت علّام الغيوب ﴾ إنّ المرسلين لايعلمون إلاّ ما ظهر لهم ، ولا يعلمون من الغيب إلاّ ما علّمهم الله تعالى إيّاه ، ثمّ إنّهم المصطفون الأخيار الّذين أدّبهم ربّهم جلّ وعلا فأحسن تأديبهم لذا كان جوابهم مبيّناً علمهم المحدود مقرّراً علم الله سبحانه وتعالى المحيط بكلّ شيء .

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ
وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ
فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

عنيت سورة المائدة كثيراً بأتباع عيسى عليه السّلام ، وقد نصّت في ثلاث آياتٍ كريمات هي السّابعة عشرة والثّانية والسّبعون والثّالثة والسّبعون على كفر الّذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم وعلى كفر الّذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة . والمعروف أنّ الإشراك مع الله تعالى غيره هو الذّنب الّذي لايغفره الله تعالى . وإنّ السّورة الكريمة في نهايتها تتحدّث حديثاً مستفيضاً عن عيسى عليه السّلام ونعم الله تعالى عليه وعلى والدته مريم البتول ، وعن بني إسرائيل وتعنّتهم ، وعن تورّط بعض أتباعه عليه السّلام في اتّخاذه عليه السّلام وأمّه إلٰهين من دون الله تعالى .

والآية الكريمة تتحدّث عن عيسى عليه السّلام إذ قال الله سبحانه وتعالى يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب ، وجعلتك شاهداً على براءة أمّك الطّاهرة ممّا قذفها به القوم الظّالمون فتكلّمت في المهد ببراءتها ، ودعوت إلى الله تعالى في تلك السّنّ المبكّرة الّتي أنعمت عليك بالنّبوّة فيها ، واشكر يا عيسى لله تعالى كلّ هذه النعم عليك وعلى والدتك. ومن هذه النّعم أنّ الله سبحانهُ وتعالى أيّد عيسى عليه السّلام وقوّاه بروح القدس وهو جبريل عليه السّلام وكلّم النّاس ودعاهم إلى توحيد الله تعالى وهو في المهد وهو كهل . ومن هذه النّعم أنّ الله سبحانه وتعالى علّمه الكتابة فقد كان عليه

السّلام قارئاً كاتباً ، وآتاه الحكمة وهي الفَهْم في الأمور ولما يقرأ ، وعلّمه التّوراة الّتي أوحاها الله تعالى لموسى عليه السّلام كليم الله ، والإنجيل الّذي أوحاه الله تعالى إليه .

ومن نعم الله تعالى كذلك على عيسى عليه السّلام أنّه يخلق من الطّين كهيئة الطّير وصورته بإذنه تعالى وبعلمه فينفخ في الصّورة فتكون طيراً بإذن الله تعالى وعلمه ، وأنّه يبرىء الأكمه وهو الأعمى الذي لايبصر شيئاً المطموس البصر[1] ويبرىء الأبرص بإذن الله تعالى .

ومن هذه النّعم أنّه بإذن الله تعالى يُخْرج الموتى من قبورهم بأن يدعوهم فيستجيبوا له بإذن الله تعالى .

ومن هذه النّعم أنّ الله سبحانه وتعالى كفّ أيدي بني إسرائيل عن قتله عليه الصّلاة والسّلام والهمّ بصلبه إذ جاءهم عليه السّلام بالآيات البّينات والمعجزات الباهرات فقال الّذين كفروا من بني إسرائيل ليست تلك الآيات البّينات والمعجزات الباهرات إلاّ سحراً مبيناً ، لذا همّوا بقتلك فكففتهم عنك .

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

الحواريّون : اختلف أهل التّأويل في السّبب الّذي سمّوا من أجله حواريّين ، فقال بعضهم : سمّوا بذلك لبياض ثيابهم ، وقيل سمّوا بذلك لأنّهم كانوا قصّارين يبيّضون الثّياب ، أو غسّالين يحوّرون الثّياب يغسلونها . وقيل : هم خاصّة الأنبياء وصفوتهم[2] .

من نعم الله تعالى على عيسى عليه السّلام أن أوحى جلّ وعلا إلى حواريّيه ، خاصّته صلّى الله عليه وسلّم وصفوته ، وحي إلهام أو بواسطة عيسى عليه السّلام ، أن آمنوا بي وأفردوني بالعبادة وآمنوا برسولي إليكم عيسى عليه السّلام فاستجابوا لدعوته عليه السّلام بفضلٍ من الله تعالى ونعمة وقالوا آمنّا بالله تعالى وحده لاشريك له واشهديا عيسى بأنّنا مسلمون لله ربّ العالمين منقادون له .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٨٣/٧ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٢٠٠/٣ .

إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

هل يستطيع ربّك : هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويعطيك فيه[1] .

والمائدة هي الخِوان عليه طعام[2] وهي الفاعلة من ماد فلان القوم يميدهم ميداً إذا أطعمهم ومارهم . فالمائدة المُطْعمة سمّيت الخِوان بذلك لأنّها تطعم الآكل ممّا عليها[3] .

أتباع عيسى عليه السّلام من بني إسرائيل فريقان الكافرون الّذين قالوا عنه حينما جاءهم بالبيّنات إنّه ساحرٌ مبين والمسلمون ، وعماد المسلمين الحواريّون . وإنّ هذه الآية الكريمة لتبيّن شيئاً من تعنّت حواريه عليه الصّلاة والسّلام وخلصائه ، وفي هذا إيماءٌ إلى شدّة معاناته عليه الصّلاة والسّلام من القوم الكافرين . إن خلصاء عيسى عليه السّلام يسألونه عليه السّلام : هل يستجيب ربّك ، إن سألته أن ينزل علينا مائدةً من السّماء ، فينزل علينا تلك المائدة ؟ ولا يملك عيسى عليه السّلام تجاه هذا الطّلب المادّيّ من خلصائه وإن كانوا فقراء فيما يقال إلاّ أن يأمرهم بتقوى الله تعالى إن كانوا مؤمنين حقّاً وكأنّ هذا الطّلب لامكان له مع التّقوى والإيمان الحقيقيّين .

قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا
وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

على الرّغم من طلب عيسى عليه السّلام في الآية الكريمة السّابقة من الحواريّين أن يتّقوا الله تعالى إن كانوا مؤمنين وأن يكفّوا عن طلب نزول المائدة فإنّهم لم يغيّروا موقفهم بل زادوه وضوحاً وبياناً . فقد قالوا لعيسى عليه السّلام نريد بسؤالنا نزول المائدة أن نأكل منها لأنّنا محتاجون لذلك وقد عرفنا أنّهم فقراء في مجموعهم ، ونريد أن تطمئن قلوبنا وتسكن

---

(١) تفسير الطّبريّ ٨٤/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٦/٢ والخِوان بكسر الخاء الّذي يؤكل عليه . معرَّب .

(٣) تفسير الطّبريّ ٨٥/٧ .

نفوسنا ويزداد يقيننا ويقوى إيماننا ونعلم بنزول المائدة أنّك قد صدقتنا في قولك إنّك رسول ربّ العالمين ونكون على المائدة من الشّاهدين على نزولها وأنّها آيةٌ من ربّ العالمين دالّة على عظيم قدرته جلّ وعلا وعلى أنّك رسولٌ من ربّ العالمين .

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾

ويسأل عيسى عليه السّلام ربّه جلّ وعلا أن ينزل عليه وعلى بني إسرائيل مائدةً من السّماء تكون له عليه السّلام ولبني إسرائيل الأحياء منهم ، ولمن يأتي من بعدهم من الآخرين عيداً يعظّمونه ويشرّفونه ويعبدون الله سبحانه وتعالى فيه حقّ العبادة ، وتكون المائدة كذلك آيةً منه جلّ وعلا يتبيّن منها قدرته جلّ وعلا وصدق رسوله عيسى عليه السّلام . ويدعو عيسى عليه السّلام ربّه جلّ وعلا أن يرزقهم عزّ وجلّ من عنده رزقاً هنيئاً هيّناً بلا تعبٍ ولا مشقّة .

قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

ويستجيب الله تعالى البرّ الرّحيم دعاء عبده عيسى عليه السّلام ويقول الله تعالى ، كما بيّنت الآية الكريمة ، إنّه جلّ وعلا منزل المائدة على الحواريّين فمن يكفر بَعْدُ منكم يابني إسرائيل ويجحد رسالتي إلى عيسى عليه السّلام بعد نزول الآية الّتي طلبتم وينكر نبوّته عليه السّلام ، فإنّي أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من عالمي زمانكم الظّالمين الجاحدين .

فنزلت الملائكة بها من السّماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتّى شبعوا قاله ابن عبّاس . وفي حديث : أنزلت المائدة من السّماء خبزاً ولحماً فأمروا ألاّ يخونوا ولا يدّخروا لغدٍ فخانوا وادّخروا فمسخوا قردةً وخنازير[1] .

---

(١) الجلالين وانظر تفسير ابن كثير ١١٦/٢ ــ ١١٩ وتفسير الطبريّ ٨٦/٧ ــ ٨٨ .

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبدالله مولى عمر بن عبدالعزيز وكان ثقةً قال : سمعت أبا بردة يحدّث عمر بن عبدالعزيز عن أبيه أبي موسى الأشعريّ قال . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأممهم ثمّ يدعى بعيسى فيذكّره الله نعمته عليه فيقرّ بها فيقول : يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك . الآية .....(١)

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

الآية الكريمة متعلّقةٌ بيوم القيامة الّذي يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الرّسل وأقوامهم . إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي لايخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء ، والّذي يعلم حيث يجعل رسالته ، والّذي يعلم ما قال عيسى عليه السّلام وفعل ، وما أسرّ به وأخفاه في نفسه ، ليقول لعيسى عليه السّلام بمشهدٍ من قومه الّذين غيّروا دينه وبدّلوه ، والّذين اتّخذوه وأمّه إلهين معبودين من دون الله تعالى وبذلك خالفوا أمره عليه السّلام لهم بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وحده جلّ وعلا لاشريك له : ﴿ أأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّيَ إلهين من دون الله ﴾ ؟ .

ويُجْرى الله سبحانه وتعالى على لسان عيسى عليه السّلام حجتّه فيبدأ بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن كلّ ما لايليق به جلّ وعلا ومن ذلك الإشراك معه جلّ وعلا سواه : ﴿ سبحانك ﴾ تنزيهاً لك عمّا لايليق بجلالك وعظمتك من الشّريك وغيره .

وبعد تنزيه الله تعالى يتحوّل عيسى عيه السّلام إلى الدّفاع عن ذاته فيقرّر أنّه ما يحقّ له أن يقول ما ليس له عليه السّلام بحقّ لأنّه عليه السّلام واحدٌ من عباد الله تعالى الّذين اصطفاهم جلّ وعلا بنعمة الرّسالة .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٢٠ .

إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم كلّ ما قاله عيسى عليه السّلام وليس فيما قاله عليه السّلام شيءٌ ممّا افتراه عليه الظّالمون وإلى هذه المعاني أومأ عليه السّلام بالقول على لسانه : ﴿ إن كنت قلتُه فقد علمته ﴾ .

إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما وراء القول ممّا يخفيه الإنسان في نفسه . وتلك الافتراءات الّتي أتى بها الظّالمون ليست ممّا مرّ في نفسه وخاطره عليه السّلام . إنّ الله تعالى عالمٌ بما توسوس به كلّ نفسٍ ومن ذلك نفس عيسى عليه السّلام . وإنّ الله تعالى عالمٌ بكلّ الغيوب . إنّ هذه الافتراءات على عيسى عليه السّلام ليست من أقواله عليه السّلام وليست ممّا جال بخاطره ، وإنّ الله سبحانه وتعالى عالمٌ بكلّ ذلك أما عيسى عليه السّلام فإنّه عبدٌ لله تعالى لايعلم إلاّ ما علّمه الله تعالى . وإلى هذه المعاني أشار قوله تعالى على لسان عيسى عليه السّلام : ﴿ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . إنّك أنت علّام الغيوب ﴾ .

وينبغي أن يكون لصيغة المبالغة ﴿ علّام ﴾ دورها في تأكيد علم الله تعالى المحيط .

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

بعد أن نفى عيسى عليه السّلام في الآية الكريمة السّابقة ما نسبه إليه الظّالمون وإلى والدته أثبت في هذه الآية الكريمة ما أمره الله تعالى وحده لاشريك له بقوله لقومه أن اعبدوا الله ربي وربّكم . إنّ عيسى عليه السّلام يأمر قومه بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ويبيّن لهم أنّه عبد الله تعالى ورسوله . ويقرّر عليه السّلام أنّه كان شهيداً على قومه مادام فيهم وقائماً بين ظهرانَيْهم ، فلّما توفّاه الله تعالى كان جلّ وعلا هو الرّقيب عليهم وهو الحفيظ عليهم وحده لاشريك له . والله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ شهيد .

وانظر إلى الاستعمال اللّطيف للفظ شهيد في الموضعين . إن عيسى عليه السّلام شهيدٌ على قومه مدّة بقائه حيّاً بإرادة الله تعالى في قومه ، وإنّ ربّ العزّة الّذي له وحده

لاشريك له الخلق والأمر شهيدٌ على كلّ شيء ، إنَّه جلّ وعلا شهيدٌ على قوم عيسى وعلى عيسى عليه السّلام وعلى كلّ شيءٍ في هذا الكون ﴿ لايَعْزُب عنه مثقال ذرّةٍ في السّماوات ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلاّ في كتابٍ مبين ﴾[1] .

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

إنّ الّذين اتّخذوا عيسى عليه السّلام وأمّه إلهين من دون الله تعالى قد تورّطوا في الذّنب الّذي لايغفره الله تعالى وهو الإشراك معه جلّ وعلا سواه . وإنّ عيسى عليه السّلام يبيّن في هذه الآية الكريمة على لسانه عليه السّلام أنّ المشيئة لله تعالى وحده لاشريك له الّذي لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون . فإنْ شاء جلّ وعلا عذّب أولئك المشركين بأن أماتهم مشركين ، وإن شاء غفر لهم بأن هداهم إلى الصّراط المستقيم وماتوا مسلمين لله ربّ العالمين .

وانظر إلى هذا القول اللّطيف المقوى لمشيئة الله تعالى المطلقة : ﴿ فإنّك أنت العزيز الحكيم ﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى هو العزيز الغالب في ملكه ومن ذلك تعذيب من شاء تعذيبه وغفران ذنب من شاء أن يغفر له ذنبه ، الحكيم في صنعه جلّ وعلا وفي حكمه وفي كلّ شيء ، لايُسْأل عمّا يفعل وهم يُسْألون . إنّ القول الّذي جاء في عَجُز الآية الكريمة هو وحده المقوى للمشيئة المطلقة للذّات العليّة في صدر الآية الكريمة وليس أيَّ قولٍ آخر .

قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

أما وقد ثبتت براءة عيسى عليه السّلام وأمّه ممّا ألحقه بهما الظّالمون فإنّ ربّ العزّة مالك الملك في ذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود يبيّن بأنّ الصّادقين في الدّنيا كعيسى عليه السّلام ينفعهم يوم القيامة صدقهم ويثابون على توحيدهم الله تعالى وإفرادهم له جلّ وعلا بالعبادة بأنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً فلا موت يناهم ولا انتقال يدركهم . ويتوّج ذلك برضا الله سبحانه وتعالى عنهم الّذي لا غضب بعده ولا

(١) سورة سبأ ٣ .

سخط ، ولا تعب وراءه ولا نصب ، وبرضاهم عن الثّواب الجزيل لهم من الله تعالى .

إنّ الخلود في الجنّة والفوز برضا الله تعالى هو الفوز العظيم حقّاً الّذي لا فوز أكبر منه بل لافوز مثله .

لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

تختم سورة المائدة الكريمة بهذه الآية الكريمة الّتي تقرّر أنّ لله سبحانه وتعالى وحده لاشريك له ملك السّماوات والأرض وما فيهّن . ويلاحظ استعمال ﴿ ما ﴾ تغليباً لغير العاقل لكثرته . كما تقرّر الآية الكريمة في جزئيّتها الأخيرة أنّ الله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ قدير ومن ذلك البعث بعد الموت وجمع الرّسل وأممهم وعقاب الكافرين وثواب المؤمنين بإدخالهم الجنّة والرّضا عنهم وذلك هو الفوز المبين العظيم .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

ثانيًا

تفسير

سُورة الأنعام

حتى نهاية الجزء السابع

سُورَةُ الأَنْعَامِ

ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ ۖ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۖ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۖ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۖ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ
تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟
أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ
كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

بين يدي التفسير

آيات الله تعالى بيّنات وتكذيب بالرّسول والقرآن
وعقاب المستهزئين
الآيات : ١ ــ ١١

سورة الأنعام المكّيّة واحدةٌ من سورٍ كريماتٍ خمس تبدأ بالحمد لله . والسّور الأُخَر هي الفاتحة والكهف وسبأ وفاطر . والآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ المستحقّ للحمد الكامل هو الله تعالى الّذي خلق السموات والأرض وأبدعهما على غير مثالٍ سابق والّذي جعل الظّلمات والنّور . ويلاحظ أنّ جملة جعل تفيد التّصيير واتّصال الفعل ودوامه ، كما يلاحظ مجيء الظّلمات في صيغة الجمع لأنّها لا نهاية لعددها ومجيء النّور واحد لأنّ طريق الهدى واحد . وبقصد التّعجب من هؤلاء المشركين مع الله تعالى غيره رغم وضوح الأدلّة والبراهين يجيء حرف العطف ثمّ في القول : ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ وبعد الحديث عن خلق السّماوات والأرض وهما أكبر من خلق الإنسان يتحوّل السّياق إلى تقرير خلق الله تعالى لهذا الإنسان من طين وتقدير عمره ، وتقدير ما بين أن يموت إلى أن يبعث ممّا لا يعلمه إلاّ الله تعالى . وبقصد التّعجب من ارتياب جنس الإنسان في البعث يجيء حرف العطف ثمّ وذلك في القول : ﴿ ثمّ أنتم تمترون ﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي في السّماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ وحده لاشريك له ، وهو الّذي يعلم سرّنا وجهرنا ويعلم ما نكسب من خيرٍ أو شرٍّ ليجازينا . وعلى الرّغم من هذه الآيات البيّنات فإنّ كفّار مكّة يعرضون عنها دائماً ، ويكذّبون بالحقّ الّذي جاءهم ، بالقرآن الكريم الّذي أوحاه الله تعالى إلى خاتم النّبيّين . ويهدّد السّياق المكذّبين بأنّهم سوف يصلهم ما يظنّونه بعيداً من عواقب سيّئة وأليمة جزاء استهزائهم بالقرآن الكريم والرّسول العظيم .

وبقصد حمل كفّار مكّة على العودة إلى جادّة الصّواب يهدّدون بما حلّ بالأمم السّابقة الّتي كذّبت رسلها وهي الّتي مكّن الله تعالى لها بأكثر من كفّار مكّة وأرسل الله تعالى عليها السّماء مدراراً وجعل الأنهار تجري من تحتها فأهلكها الله سبحانه وتعالى بذنوبها وأنشأ من بعدها أقواماً آخرين .

ويبيّن السّياق مدى تكذيب كفّار مكّة البعيد والّذي ليس له حدود ، فلو أنّ الله سبحانه وتعالى نزّل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم القرآن مكتوباً في صحيفةٍ فلمسوها بأيديهم لقال الكافرون ما هذا إلاّ سحرٌ مبين . وقالوا لولا أنزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ملك يشهد بأنّه رسول ربّ العالمين ، ولو أنزل الله تعالى ملكاً لقُضي الأمر بعذابهم واستئصال شأفتهم لسابق علمه جلّ وعلا بإصرارهم على الكفر رغم مجيء ما اقترحوا من آيات ، وفي حال نزول العذاب لايُنْظرون لتوبة ولا يُمْهَلون لمعذرة . ولو جعل الله سبحانه وتعالى الرّسول ملكاً ، والمعروف أنّ البشر لايطيقون رؤيته على طبيعته ، لجعله الله سبحانه وتعالى في هيئة الرّجل وفي شكل البشر ولقال الكافرون هذا بشرٌ وليس ملكاً ونحن نريد ملكاً ، وهكذا يلتبس الأمر على الكافرين كما يَلْبسون هم على أنفسهم من حقيقة أمر الرّسول الكريم وصحّة برهانه العظيم . وبقصد حمل الكافرين المستهزئين على الكفّ عن الاستهزاء يهدّدون بأنّ مصيرهم سيكون شبيهاً بمصير المكذّبين السّابقين المستهزئين الّذين دمّر الله تعالى عليهم . ويطلب السّياق من الكافرين أن يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة المكذّبين كقوم لوط وقوم صالحٍ عليهما الصّلاة والسّلام .

إرشاد للنبيّ صلى الله عليه وسلم وشهادة من الله تعالى له
ودعوة إلى الإيمان
الآيات : ١٢ — ٢١

تأمر الأية الكريمة الأولى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لكفّار مكّة لمن ما في السّماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيدا ، وتلقّنه عليه الصّلاة والسّلام الجواب : ﴿ قل لله ﴾ إنْ لم يقولوا ذلك فلا جواب سواه . وبقصد استمالة الكافرين إلى الإسلام تلوّح الآية الكريمة برحمة الله تعالى الّتي وسعت كلّ شيٍ والّتي كتبها على نفسه ، كما تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى سيجمع النّاس إلى يوم القيامة الّذي لا ريب فيه ، كما تقرّر أنّ الّذين خسروا أنفسهم في ذلك اليوم هم الذّين لايؤمنون . ويقرّر السّياق بعد ذلك أنّ كلّ ما حلّ في اللّيل والنّهار وسكن فيهما من مخلوقات هو ملكٌ لله تعالى السّميع العليم . ويأمر السّياق

المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول للكافرين في هيئة الاستفهام الإنكاريّ : أغير الله تعالى أتّخذ وليًّا أقصد وهو فاطر السّماوات والأرض وهو يرزق كلّ دابّةٍ ولا يحتاج إلى أحدٍ من خلقه ، وأن يقول للكافرين إنّي أُمِرْت أن أكون أوّل من أسلم لله ربّ العالمين من هذه الأمّة ونهيت أن أكون من المشركين ، وأن يقول للكافرين كذلك : إنّي أخاف إن عصيت ربّي جلّ وعلا عذاب يومٍ عظيم هو يوم القيامة الّذي من يصرف عنه العذاب يومئذٍ فقد رحمه الله تعالى وذلك حقاً هو الفوز المبين .

ويقرّر السّياق شيئاً من قدرّة الله تعالى الّذي إذا أصاب أيّ إنسانٍ بضرٍّ فلا كاشف له إلاّ هو جلّ وعلا ، وإذا أصابه بخيرٍ فهو على كلّ شيء قدير . إنّه جلّ وعلا هو القاهر فوق عباده المستعلي عليهم وهو الحكيم الخبير ببواطن الأمور كظاهرها . ويتوّج الحديث عن بعض مظاهر قدرة المنتقم الجبّار بأمر المصطفى صلى الله عليه وسلّم أن يطرح على المشركين سؤالاً : ﴿ أيّ شيءٍ أكبر شهادة ﴾ ويكون الجواب على الفور : ﴿ قل الله ﴾ فالله سبحانه وتعالى هو الأكبر شهادة ، وهو الشّهيد بين المصطفى صلّى الله عليه وسلّم رسول ربّ العلمين وبين المشركين . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى أوحى للرّسول الكريم القرآن لينذر به قومه ومن بلغه هذا الكتاب العزيز ويُطْرَح على المشركين سؤال : أئنّكم أيّها المشركون تشهدون أنّ مع الله تعالى آلهةً أخرى ؟ ويلقّن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم حجّته فيؤمر بأن يقول : ﴿ لا أشهد ﴾ وأن يقول : إنّما هو إلهٌ واحدٌ لا شريك له وإنّه عليه الصّلاة والسّلام بريءٌ ممّا يشركون .

ويتعرّض السّياق لأهل الكتاب الّذين يعرفون محمداً صلّى الله عليه وسلّم كما يعرفون أبناءهم ، كما يقرّر أنّ الّذين خسروا أنفسهم يوم القيامة من أهل الكتاب هم الّذين لايؤمنون بالله تعالى ربّاً وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم رسولاً وبالقرآن الكريم دستوراً ، كما يقرّر أنّه لا أحد أظلم ممّن افترى على الله كذباً بادّعاء الشّريك أو الصّاحبة أو الولد له جلّ وعلا ولا أحد أظلم ممّن كذّب بآيات الله تعالى وأنّه لايفلح الظّالمون .

بعض أهوال يوم القيامة
التي يشاهدها المكذبون
الآيات : ٢٢ — ٣٢

يقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة يحشر المشركين جميعاً يوم القيامة ثمّ يقول لهم أين شركاؤهم الّذين زعموا في الحياة الدّنيا أنّهم شركاء لله تعالى ، ثمّ لم يكن قيلهم عند ابتلاء الله تعالى لهم بالسّؤال المزعج لهم إلاّ أن كذبوا وقالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين ، ظنّا منهم أنّ الكذب ينفعهم . ويأمر السّياق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن ينظر بقلبه ويتفكّر كيف يكذب المشركون على أنفسهم . وإنّ ممّا زاد المشركين خزياً إلى خزيهم غياب الآلهة المزعومة عنهم وسلوكها غير طريقهم . إنّ من هؤلاء المشركين من كان يستمع إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يرتّل القرآن الكريم ترتيلاً أو يعظ المسلمين . وقد جعل الله سبحانه وتعالى على قلوب القوم أغطيةً لئلاّ يفقهوا القرآن بسبب انصراف القلوب عنه ، وفي آذانهم ثقلاً أن يسمعوه سماع تدبّر بسبب زهدهم في القرآن ورغبتهم عنه .. ووراء ذلك هم إن يروا كلّ آيةٍ دالّة على قدرة الله تعالى لايؤمنون بها ، وإذا جاءوا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم جادلوه في الحقّ بالباطل وقالوا بسبب كفرهم ليس القرآن الكريم سوى أساطير الأوّلين . وهم كذلك ينهون عن القرآن الكريم غيرهم وينأون هم أنفسهم عنه . ويتحوّل السّياق إلى تبيين العذاب الّذي ينتظرهم يوم القيامة فيقرّر السّياق مخاطباً المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قائلاً : ولو ترى يا محمّد إذ حُبسوا على النّار فقالوا يا ليتنا نُرَدّ إلى الحياة الدّنيا ولانكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين المتّبعين للرّسول النّبيّ الأمّيّ . ويضرب السّياق عن تمنّيهم ، بعد أن يسكت عن جواب لو وتقديره : لرأيت أمراً عظيماً ، ويقرّر أنّهم بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وظهر لهم ما كانوا يكتمون من شركٍ وأعمالٍ سيئة فقد شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم . ويقرّر السياق أنّ المشركين لو عادوا إلى الحياة الدنيا لعادوا إلى ما نهوا عنه من شركٍ وعمل سيّء وقولٍ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولمن يدعوهم إلى الإسلام : ما هي إلاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين . ويعود السّياق إلى خطاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قائلاً : ولو ترى أيّها الرّسول الكريم إذ عُرِضوا

وأوقفوا بين يدي ربّهم لرأيت أمراً عظيماً . إنّ ربّ العزّة يقول لهم : أليس هذا البعث بالحقّ قالوا بلى وربّنا إنّه لحقّ فيقال لهم ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . إنّ هؤلاء الّذين كذّبوا بلقاء الله تعالى قد خسروا حقّاً حتّى إذا جاءتهم السّاعة فجأةً قالوا يانداماتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون آثامهم على ظهورهم وَبئس تلك الآثام لأنّها ثقيلة كريهة منتنة . إنّ المشركين جعلوا الحياة الدّنيا منتهى همّهم وهي ليست سوى لعبٍ ولهو بينما الدّار الآخرة خيرٌ للّذين يتّقون . أفلا تعقلون يا من آثرتم العاجلة على الآجلة ، الفانية على الباقية .

تسلية للنبيّ صلى الله عليه وسلم
وإنذار للمشركين وتبشير للمؤمنين
الآيات : ٣٣ ـ ٤٩

في سبيل تسلية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة يعلم أنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ليَحْزُنه الّذي يقولون عنه عليه الصّلاة والسّلام وعن القرآن الكريم فإنّهم في حقيقة الأمر لايكذّبونه عليه الصّلاة والسّلام لعلمهم أنّه صادقٌ ولكنّ هؤلاء الظّالمين يجحدون آيات الله تعالى وينكرون القرآن الكريم .

كما يقرّر السّياق أنّ المرسلين من قبله عليه الصّلاة والسّلام قد كذبتهم اقوامهم فصبروا على ما كذّبوا وأوذوا حتّى أتاهم نصر الله تعالى ، ولا مبدّل لكلمات الله تعالى بنصر رسله والّذين آمنوا ، ولقد جاءه عليه الصّلاة والسّلام من نبأ المرسلين ما يثبّت فؤاده عليه الصّلاة والسّلام . وبقصد تقرير اختلاف النّاس بإرادة الله تعالى فعلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ألا يهلك نفسه حسراتٍ لإعراض كثيرٍ منهم ، يقرّر السّاق أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إن شقّ عليه إعراضهم وأصرّ على حملهم على الإيمان ، فَرْطَ حماسةٍ منه في سبيل الدّعوة إلى الله تعالى ، فإن استطاع عليه الصّلاة والسّلام أن يبتغي نفقاً في الأرض أو سلّماً في السّماء فيأتيهم بآية غير القرآن الكريم فليفعل . إنّ الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى فلا تكوننّ أيّها الرّسول الكريم من غير العالمين بذلك . واستمراراً لتسليته عليه الصّلاة والسّلام يقرّر السّياق أنّ الاستجابة للدّعوة إلى صراط العزيز الحميد مقصورةٌ على الّذين يسمعون أحسن القول سماع تدبّر ، وإنّ لسان لحال يقول : إنّ الّذين لايستجيبون لا

يسمعون وهم بمثابة الموتى سكان القبور . إنّ الموتى يبعثهم الله تعالى ثمّ إليه يُرْجَعون . والعجيب في أمر كفّار مكّة أنّهم يطلبون آيةً حسّيّة ويجهلون أنّ في تحقّقها هلاكهم لأنّه سبق في علمه جلّ وعلا أنّهم لن يؤمنوا وفي ذلك استئصال شأفتهم . ويقرّر السّياق أنّه ما من دابّةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطير في الهواء بجناحيه إلاّ أممٌ أمثالنا ، وأنّه جلّ وعلا ما فرّط في اللّوح المحفوظ من شيء بل كلّ شيءٍ مكتوبٌ فيه ثمّ إلى ربّهم جلّ وعلا يحشرون وفيهم كفّار مكّة المصرّون على كفرهم وتكذيبهم ، الصّمّ عن سماع أحسن القول سماع قبول ، البكم عن قول الحقّ الّذي استيقنته أنفسهم ، العمي البصائر فهم في ظلمات الشّرك والشّكوك والرّيب . إنّ هؤلاء الّذين اختاروا الضّلال زادهم الله تعالى ضلالاً إلى ضلالهم ، أمّا الّذين اهتدوا فقد زادهم الله تعالى هدىً واستقامة على الصّراط المستقيم .

ويبكّت السّياق كفّار مكّة فيأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لهم : أخبروني إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السّاعة أغير الله تعالى تدعون وإلى سواه تضرعون إن كنتم صادقين في ادّعائكم أنّ الأصنام تنفع وتضرّ . ويقرّر السّياق أنّهم لايدعون إلاّ الله تعالى الّذي يعلمون أنّه يكشف وحده لاشريك له الضّرّ إن شاء وينسون ما يشركون .

واستمراراً لتسلية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وإنذار المشركين يذكر السّياق مصير المكّذبين السّابقين كي يأخذ المكّيون حذرهم ويتحوّلوا مسلمين لله رب العالمين ، فيقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسله إلى أمم من قَبْلِهِ عليه السّلاة والسّلام فأخذهم الله تعالى بالفقر والمرض لعلّهم يتذلّلوّن لله تعالى . فهلاّ إذ جاءهم بأس الله تعالى تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان الرّجيم ما كانوا يعملون من سيّئات . فلمّا أعرضوا عمّا ابتلاهم الله تعالى به ولم يعودوا إلى بارئهم جلّ وعلا بل استمرّوا في غيّهم استدرجهم الله تعالى ففتح عليهم أبواب كلّ شيء من صحّة ومال وجاه حتّى إذا فرحوا فرح أشرٍ وبطرٍ بما آتاهم الله تعالى وكفروا النّعمة ولم يعودوا إلى بارئهم ولم يشكروا لله تعالى نعمه أخذهم الله تعالى بغتةً فإذا هم آيسون من كلّ خير مترقّبون كلّ شرّ فقُطع دابر القوم الّذين ظلموا واستأصل الله تعالى شأفتهم وأهلك آخرهم والحمد لله ربّ العالمين الّذي نصر رسله وأعزّ جنده .

ويعود السّياق إلى تبكيت كفّار مكّة فيؤمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لهم أخبروني إن أخذ الله سبحانه وتعالى سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إلهٌ غير الله يأتيكم بما أخذ الله تعالى منكم . والجواب بطبيعة الحال معروف : لا أحد . انظر يا محمّد

بعين بصيرتك كيف نصرّف الآيات ونقلّب الحجج ثمّ هم يعرضون عن كلّ ذلك . ويؤمر المصطفى صلّى الله عليه وسلم كذلك أن يقول لكفّار مكّة أخبروني إن أتاكم عذاب الله تعالى على حين غفلةٍ منكم ففجأكم أو أتاكم جهرةً وعياناً هل يهلك إلاّ القوم الظّالمون ، والمعنى ما يهلك إلاّ المشركون .

ويقرّر السّياق بعد ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى إنّما يرسل المرسلين مبشّرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، أمّا الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى فيمّسهم العذاب بما كانوا يفسقون .

مزيد إرشاد للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم
وإنذار للكافرين وتبشير للمؤمنين
الآيات : ٥٠ — ٥٨

يؤمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لكفّار مكّة إنه عليه الصّلاة والسّلام ليس عنده خزائن الله ولا يعلم الغيب ولا يقول لهم إنّه ملك . إنّه عليه الصّلاة والسّلام ما يتّبع إلاّ ما أوحى الله تعالى إليه . كما يؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يقول لهم ويسألهم في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ : هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أفلا تتفكّرون وتتدبّرون كما يؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن ينذر بهذا القرآن الكريم الّذي يخافون أن يحشروا إلى ربّهم من المؤمنين والّذين يعلمون أنّهم ليس لهم من دونه جلّ وعلا وليّ يتولّى شئونهم ولا شفيع يشفع لهم لعلّهم يتّقون الذّنوب من ناحية ويصلون إلى مرتبة التّقوى من ناحية أخرى . وينال المؤمنون الفقراء في مجموعهم حظّهم الموفور فينهي السّياق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عن طرد هؤلاء الّذين يعبدون الله تعالى صباحاً ومساءً وفي كلّ الأوقات يريدون وجه الله تعالى . ويقرّر السّياق أنّه عليه الصّلاة والسّلام ليس عليه من حساب الله تعالى لهم من شيء ، وأنّهم بدورهم ليس عليهم من حساب الله تعالى له عليه الصّلاة والسّلام من شيء . إنّ القول : ﴿ فتكون من الظّالمين ﴾ جوابٌ لقوله : ﴿ ولا تطرد الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ﴾ وإنّ القول : ﴿ فتطردهم ﴾ جوابٌ لقوله : ﴿ ما عليك من